



اليوم الموعود

بدء الخلق

خطبة جمعة

2025-10-03

سورية - دمشق

مسجد عبد الغني النابلسي

يا ربنا لك الحمد، ملء السماوات والأرض، وملء ما بينهما وملء ما شئت من شيء بعد، أهل الثناء والمجد، أحق ما قال العبد، وكلنا لك عبد، لا مانع لما أعطيت، ولا مُعطي لما منعت، ولا ينفع ذا الجد منك الجد، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، غنى كل فقير، وعز كل ذليل، وقوة كل ضعيف، ومفرج كل ملهوف، فكيف نفتقر في غناك، وكيف نضل في هُداك، وكيف نذل في عزك، وكيف نُضام في سلطانك، وكيف نخشى غيرك، والأمر كله إليك، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، أرسلته رحمة للعالمين بشيراً ونذيراً، ليخرجنا من ظلمات الجهل والوهم إلى أنوار المعرفة والعلم، ومن وحول الشهوات إلى جنّات القربات، فجزاه الله عنا خير ما جزي نبياً عن أمته.

اللهم صلّ وسلم وبارك على سيدنا محمد، وعلى آل سيدنا محمد، وعلى أصحاب سيدنا محمد، وعلى أزواج سيدنا محمد، وعلى ذرّية سيدنا محمد، وسلّم تسليماً كثيراً.

مقدمة:

وبعد فبا أنّها الإخوة الكرام: في القرن السادس الميلادي، وقبل بعثة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم بمئة عام تقريباً، جرت فصول القصة، وفي شقّ عريض في باطن الأرض يُسمّى الأخدود، حُفِرَ ودُفِنَ هناك فريق من المؤمنين وأُحرقوا، قُلْ إن شئت هي مقبرة جماعية، تُشبه المقابر الجماعية التي تُكتشف كل يوم على أرض الشام المباركة، والتي قُيل فيها عددٌ من السوريين وغيرهم، ظلما وعدواناً وبُهتاناً، أو قُلْ ذاك الأخدود يُشبه تلك المجازر البشعة، التي يقضي فيها يوماً مئاث من أهلنا في غرّة المُحاصرة، والأرض سُحِّدَتْ أخبارها، قال تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا (1) وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا (2) وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا (3) يَوْمَئِذٍ تُخْبِتُ أَخْبَارَهَا (4)

(سورة الزلزلة)

قصة أصحاب الأخدود خلّدها القرآن الكريم كلاماً إلهياً عظيماً يُتلى إلى يوم القيامة:

وسُئِلَ القاصص كلها يوم القيامة، ولكن قصة أصحاب الأخدود، وبعد مئة عام كاملة من وقوعها، خَلَّدَهَا القرآن الكريم كلاماً إلهياً عظيماً، يُتلى إلى يوم القيامة، وها نحن اليوم بعد ألف وخمسمئة سنة ميلادية من وقوعها نقرا ونُعلم أولادنا سورة البروج، وتتذكر قصة تلك النلة الموحدة المؤمنة، لنعلم أنَّ كل ما يجري في الكون محفوظ عند الله تعالى، وأنَّ هناك يوماً موعوداً سنقف فيه بين يدي ربنا، ليسألنا عن كل صغيرة وكبيرة، إنه اليوم الموعود.

أيُّها الإخوة الكرام: تبدأ سورة البروج بقسمٍ يبعثُ في النفس الهيبة والجلال، بثلاث آياتٍ مُتتاليات، وقَعُها على النفس شديد.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ (1) وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ وَالْجَنَّةِ وَالْجَنَّةِ (2) وَالْجَنَّةِ وَالْجَنَّةِ (3)

(سورة البروج)

إذا أقسم الله بشيءٍ من مخلوقاته فإنما يُقسم ليلفت نظرنا إلى عظيم المُقسم به:

وإذا أقسم العظيم جَلَّ جلاله بشيءٍ من مخلوقاته، فإنما يُقسم ليلفت نظرنا إلى عظيم المُقسم به، فالله جَلَّ جلاله هو العظيم، فلمَّا يُقسم بالسماء لكأنه يقول لك: يا عبيدي انظر إلى السماء، ويوم يُقسم باليوم الموعود كأنه يقول لك: يا عبيدي هذا يومٌ عظيم تشيَّب لهوله الولدان، فالقسم من العظيم للفت نظر الإنسان إلى عظمة المُقسم به (وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ (1) وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ وَالْجَنَّةِ وَالْجَنَّةِ (2) وَالْجَنَّةِ وَالْجَنَّةِ (3)).

في سماننا اثنا عشر بُرجاً، والبروج هي منازل أو مجموعات نجمية تسير فيها الشمس خلال السنة، برج الحمل، برج العقرب، برج السرطان، إلى آخره... يستخدمها الناس اليوم زوراً وبُهتاناً، للتنبؤ بحركة الإنسان بالحياة، وكذب المنجمون، هذه البروج التي في السماء، يُقسم الله بالسماء مُشيراً إلى عظمة هذه البروج.

أيُّها الإخوة الأحباب: بين الشمس والأرض التي نعيش عليها، مئة وستة وخمسون مليون كيلو متر، الشمس تكبر الأرض بمليون وثلاثمئة ألف مرة، بمعنى أنَّ جوف الشمس يتسع لمليون وثلاثمئة ألف أرض تُلقى في جوف الشمس، هناك برُج في السماء اسمه برج العقرب، نجومه تتشكل على شكل عقرب، وفي هذا البرج نجمٌ أحمر من المع نجوم السماء، يُرى بالعين المجردة صيفاً في نصف الكرة الشمالية، نجمٌ صغيرٌ كما يُرى من الأرض، لامعٌ جداً يُسمَّى قلب العقرب.

هل تعلمون أنَّ هذا النجم قلب العقرب يتسع للشمس والأرض مع المسافة بينهما، الشمس تكبر الأرض بمليون وثلاثمئة ألف مرة، وبين الشمس والأرض مئة وستة وخمسون مليون كيلو متر، وقلب العقرب في برج العقرب، يتسع للشمس والأرض مع المسافة بينهما (وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ) هذا إلهنا جَلَّ جلاله وهذه عظمته، يُقسم بذات البروج.

ما علاقة السماء ذات البروج باليوم الموعود؟

(وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ وَالْجَنَّةِ وَالْجَنَّةِ (2) وَالْجَنَّةِ وَالْجَنَّةِ (3)) هو يوم القيامة الذي سنقف فيه بين يدي خالقنا جميعاً، وسُحِاسِبَ عن كل أعمالنا صغيرها وكبيرها، ما علاقة السماء ذات البروج باليوم الموعود؟ لماذا قال المولى: (وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ (1) وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ وَالْجَنَّةِ وَالْجَنَّةِ (2) وَالْجَنَّةِ وَالْجَنَّةِ (3)) علاقتها قاعدةٌ نقول فيها إن كمال الخلق يدل على كمال التصرف، بمعنى أنَّ الله تعالى الذي خلق السماء بهذه العظمة، وتلك البروج التي تجار المرء في أحجامها، وفي المسافات الشاسعة البينية بينها، هذا الإله العظيم لا يمكن أن يترك عباده دون أن يحاسبهم، لا بُدَّ من اليوم الموعود (وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ (1) وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ وَالْجَنَّةِ وَالْجَنَّةِ (2) وَالْجَنَّةِ وَالْجَنَّةِ (3)).

هَبْ أنك دخلت جامعةً قد بُنيت على أحدث طراز، ثم تجول في أروقها، فوجدت فيها من الوسائل التعليمية الشيء الكثير، ثم نظرت في مُدَرِّسِيها فوجدتهم من أنجح المُدَرِّسين وأحسنهم، ثم قيل لك ببساطة: إنَّ الجامعة لا تُجري امتحاناً، ولا تُعاقب مُسبئاً، ولا تُكافئ مُحسنًا، لن تُصدق ذلك! لا يمكن لجامعةٍ بهذه العظمة ألا يكون فيها امتحانٌ وحساب (وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ (1) وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ وَالْجَنَّةِ وَالْجَنَّةِ (2) وَالْجَنَّةِ وَالْجَنَّةِ (3)).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَتَّكُمْ إِلَّا نَارَ جَهَنَّمَ (115) فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ (116)

(سورة المؤمنون)

لا يليق بعظمة الإله الذي خلق السماوات والأرض ألا يحاسب عباده وأن يتركهم هملًا:

تعالى الله الملك الحق أن يخلق الناس عبثاً، وألا يرجعهم للحساب، لا يليق بعظمة الإله الذي خلق السماوات والأرض بهذه العظمة، لا يليق بجلاله ألا يحاسب عباده، أن يتركهم هملًا، أن يستوي المُحْسِن مع المُسيء، والمُسلم مع المُجرم.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
أَفَتَجْعَلُ الْمُضِلِّينَ كَالْمُجْرِمِينَ (35) مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ (36)

(سورة القلم)

لا يمكن أن يستويان، لا بُدَّ من اليوم الموعود (وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ (1) وَالْجَوَارِ الْمَوْجُودِ (2) وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ) الله تعالى هو الشاهد ونحن مشهودٌ علينا.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (9)

(سورة البروج)

فهو يشهد أعمالنا صغيرها وكبيرها، النبي صلى الله عليه وسلم هو الشاهد ونحن المشهود علينا.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا (45)

(سورة الأحزاب)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
فَكَيفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا (41)

(سورة النساء)

النبي صلى الله عليه وسلم يشهد على أمته، ونحن أمته المشهود علينا، المال شاهد وأنت مشهودٌ عليك، ماذا صنعت بالمال؟ هل أنفقته في الحلال أم في الحرام؟ الصحة شاهد وأنا مشهودٌ عليّ، هل أنفقت صحتي فيما يرضي الله أم فيما يُغضبه؟ الجوارح شاهدة وأنا وأنت مشهودٌ علينا، العين ستشهد، والأذن ستشهد، والرجل ستشهد.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَقَالُوا لَوْلَا إِيَّاكُمْ لَمَّ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا ۚ قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (21) وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَوِيُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ (22) وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ (23)

(سورة فصلت)

(أَرْدَاكُمْ) أي أهلككم، الجوارح شاهد وأنت أيها الإنسان مشهودٌ عليك، ستنطق العين وتقول نظر إلى كذا وكذا، وستنطق الرجل وتقول ذهب إلى كذا وكذا، وستنطق اليد، وستنطق الجلود.

أيها الإخوة الكرام: هذه أقسام ثلاثة، جمع قسم أقسام: (وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ (1) وَالْجَوَارِ الْمَوْجُودِ (2) وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ) كله تحت المراقبة، كله مصوّر، وستُحدّث الأرض أخبارها، وما جواب القسم؟

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
قُلْ أَصْحَابُ الْأُحْدُودِ (4)

إذا قرأت في كتاب الله تعالى قسماً فابحث عن جوابه دائماً:

أيها الكرام: دائماً إذا قرأت في كتاب الله تعالى قسماً فابحث عن جوابه، ثم اربط بين القسم وجوابه، فإن علاقة بينهما تجعلك يفشّر جلدك من بلاغة القرآن الكريم، مثلاً قال تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَالْعَصْرِ (1) إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ (2)

(سورة العصر)

العصر هو الزمن الذي يمضي علَيَّ وعليكَ (إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ) لماذا؟ لأنه يخسر رأس ماله الذي هو الزمن، فأنا وأنت في كل ثانية تمر نخسر الزمن، هذه الدقائق التي أمضيها في هذه الخطبة لم نخسر فيها الزمن لأنها إيمان بالله.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ (3)

(سورة العصر)

هذه لم نخسرها استثمارها، لكن عندما يمضي الزمن دون أن يُستثمر في الطاعة فإنه خسارة (وَالْعَصْرِ (1) إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ) .
مثال آخر:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَالْغَدِيَّتِ صَبْرًا (1) فَإِذَا مَوْرَتْ قَدْ خَا (2) فَإِذَا مَعِيزَتِ صَبْرًا (3) فَأَتَرْنَ بِهِ تَفْعًا (4) فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا (5)

(سورة العاديات)

يُقسّم بماذا؟ بالخيال، تعدو تتوسط الجموع، تُجالد عن صاحبها، وفيه لصاحبها، تفعل كل ذلك وفاءً لصاحبها، ما جواب القسم؟

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ (6)

(سورة العاديات)

ليس وفيّاً يعد المصائب وينسى النعم، كُن وفيّاً كالخيال التي خلقها الله، تعلّم من الخيل غير المُكلّفة أن تكون وفيّاً مع ربك كما هي الخيل، دائماً ابحث عن جواب القسم، ثم اربط بين المُقسّم به وجواب القسم.

نأتي إلى سورة البروج:

(وَلِسَّمَاءَ ذَاتِ الْبُرُوجِ (1) وَالْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ (2) وَشَاهِدٍ وَمَنْشِدٍ (3) قَبْلَ أَصْحَابِ الْأُدُودِ) لَعَنَ هؤلاء الذين حَفَرُوا الْأُدُودَ لِلْمُؤْمِنِينَ، ووضعوهم فيه، وأحرقوهم فيه، فإذا نظرت في السماء ذات البروج، علمت عظمة الله تعالى وعلمت أنه سبحانه سيحاسبهم، وإذا نظرت في اليوم الموعود، علمت أنهم سيقفون للحساب يوم القيامة، وإذا نظرت في شاهدٍ ومشهدٍ، علمت أن الذي جرى لم يجر، وحاشا أن يجري دون إرادة الله تعالى.

قد كان شاهداً عليه (وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ) فهنا تدرك الارتباط بين المُقسَم به وجواب القسم، أهل غزّة محاصرون (وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ) الصهاينة المُعتدون بمنعون أسطول الصمود أن يصل إليهم، وهم يحملون معهم الخبز وحب الأطفال فقط، يحاصرونهم (وَشَاهِدٍ وَمَنْشِدٍ) لعن هؤلاء الصهاينة، الذين يحفرون الأودود الحديث لأهل غزّة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَشَاهِدٍ وَمَنْشِدٍ (3) قَبْلَ أَصْحَابِ الْأُدُودِ (4) لَتَارِ ذَاتِ الْوَقُودِ (5) إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ (6) وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ
يَلْمِزُونَ مِمَّا شُهِدُوا (7)

(سورة البروج)

جلسوا على حافة الأودود يستلذون بعذابات المؤمنين، واليوم لا يحتاجون إلى حافات الأودود، يجلسون خلف الشاشات ليستلذوا بجوع هذه الثلة المؤمنة المجاهدة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ (6) وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ يَلْمِزُونَ مِمَّا شُهِدُوا (7) وَمَا تَقْمُوا مِنْهُمْ إِنْ أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْخَمِيدِ (8)
الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمُوتِ وَالْأَرْضِ صَوَّ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (9)

(سورة البروج)

كله بعلم الله تعالى.

أَيُّهَا الإخوة الكرام: (وَمَا تَقْمُوا مِنْهُمْ) ما الذنب الذي اقترفه هؤلاء؟ إلا أنهم قالوا ربنا الله، فأحرقهم هذا الملك المُتغطرس، ما الذنب الذي اقترفه أهل غزّة؟ إلا أنهم قالوا نريد أن نأكل ونُطعم أولادنا، ما الذنب الذي اقترفه السوريون؟ ما الذنب الذي يرتكبه المؤمنون في كل زمان ومكان؟! (وَمَا تَقْمُوا مِنْهُمْ) إِنْ أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْخَمِيدِ فقط.

الحرب في المرتبة الأولى هي حربٌ دينية:

الحرب حربٌ اقتصادية؟ نعم، على منابع النفط؟ نعم، للسيطرة على الأرض؟ نعم، ولكن تأكد أنها في المرتبة الأولى هي حربٌ دينية، ولا تسمع لمن يقول غير ذلك، هم يحاربون أي ثلة مؤمنة تنهض لتقول لمشروعهم لا، ويتسومونها سوء العذاب، والطغاة في كل عصر ومصر يفعلون الشيء ذاته، وبهلكون في النهاية.

انظروا إلى فرعون الطاغية في كتاب الله، واقرؤوا سيرته، تجدون أن ما فعله النظام البائد هو ما فعله فرعون، وأن ما فعله الصهاينة اليوم هو ما فعله فرعون، لكنهم لا يقرؤون، والنتيجة هي نتيجة فرعون حتماً، وكلما ازدادوا ظلماً وغيّاً وعدواناً، اعلم أنهم يقتربون من نهايتهم، ويطلقون النار على أنفسهم، ويصطفي الله تعالى من يشاء من عباده شهداء، ويرفع منزلتهم عنده، وبذل أعداءه ويُعلي مرتبة أوليائه هذه سنة الله في الأرض.

أَيُّهَا الإخوة الكرام:

(وَمَا تَقْمُوا مِنْهُمْ) إِنْ أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْخَمِيدِ (8) الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمُوتِ وَالْأَرْضِ) الملك ليس لهم، ليس لهؤلاء الذين حَفَرُوا الْأُدُودَ، ولا لهؤلاء الذين حكموا بلدنا بالنار، وقد رأيتم بأعينكم، ولا لهؤلاء الصهاينة الذين يُشَرِّعون الآن لخطية استعمارية جديدة، يُسيطرُون فيها على الشرق الأوسط والأبعد.

يستحيل أن يجري في ملك الله ما لا يريد الله تعالى:

ليس لهم الملك، إِنْ أَنْ تَحِيلَ أَنْ الْمَلِكُ لهم، لا يجري في ملك الله شيءٌ خارج إرادة الله، يستحيل أن يجري في ملك الله ما لا يريد الله، هل تقبل أنت أَيُّهَا العزيز أن يجري في ملكك شيءٌ لا تريده؟ تقول هذا بيتي لا أسمع، أدخل من أشاء وأخرج من أشاء، هل يُقْبَلُ أن يجري في ملك الله شيءٌ لا يريد الجليل جلّ جلاله؟ مستحيل، ولكنه جلّ جلاله يُهَيِّئُ الأمور، ويُهَيِّئُ النفوس، ويُخَصِّصُ المؤمنين، ويمحق الكافرين.

أَيُّهَا الإخوة الكرام: نحن في الدنيا نملك الأشياء، لكن ملكنا ناقص، هَبْ أَنْكَ تملك بيتاً، سأسألك الآن وأسأل نفسي، هل أضمن أو تضمن بعد دقيقة واحدة من الآن، أن يكون البيت الذي تملكه ملكاً لك؟ ستقول لا، إذا توقفت ضربات القلب لم يعد البيت ملكي، كل ما أملكه ذهب عني، هل أنت من أنشأ البيت؟ لا، هل تملك حق التصرف فيه بشكلٍ كامل؟ تقول لا هناك حدود، الله تعالى جلّ جلاله ملك الأشياء كلها والكون كله، خلقاً فهو الذي خلقه، وتصرفاً فهو يتصرف به كيفما يشاء، ومصيراً، خلقاً وتصرفاً ومصيراً

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
إِنَّا نَحْنُ حَرِثُ الْأَرْضِ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ (40)

(سورة مريم)

فهذا هو الملك الحقيقي (الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمُوتِ وَالْأَرْضِ) وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ.

ثم يأتي المولى جلَّ جلاله بآيتين تفيان الآية كلها، في الأصل ثلث مؤمنة أحرقت، وطُغاه متكبرون تغطرسوا أكثر وأكثر، هذا هو المشهد الذي شاهدته الأعين، لكن القرآن الكريم يقول:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
إِنَّ الَّذِينَ قَتَلُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ (10)

(سورة البروج)

الجزاء من جنس العمل:

هؤلاء هم المحترقون وليس من وضعوا في الأخدود (وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ) وجاءت بكلمة الحريق لأنَّ الجزاء من جنس العمل، هؤلاء هم المحترقون وليس من أحرقوا في الدنيا، حريق الدنيا نازٍ ألمها شديد لكنه إلى زوال، مهما امتدَّ الزمن دقائق وينتهي، هذا حريق الدنيا أما حريق يوم القيامة:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَأْتِيَتَا سُوفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كَلَّمَا تَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا (56)

(سورة النساء)

إلى أبد الأبدين هذا حريق الآخرة، نار البشر مهما اشتدَّت قوتها فكم تبلغ؟ أما نار الله الموقدة، فما بالك بنار الله؟

(النَّارُ ذَاتُ الْوُفُودِ) الحطب الذي أشعل، وفي قراءة: "النار ذات الوقود" أي ذات الاشتعال الشديد، في قراءة حفص: النار ذات الوقود، يعني ذات الحطب الذي وضع فيها حتى اشتعلت، أما نار جهنم:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
قَالِ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَأْزَنُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْجِبَارُ أَعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ (24)

(سورة البقرة)

فانظر إلى نار الدنيا ونار الآخرة.

أيها الإخوة الكرام: هذه صورة (إِنَّ الَّذِينَ قَتَلُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ) إبراهيم عليه السلام وضع في النار لكن النار لم تحرقه:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
فُلْنَا بَا نَارَ كُونِي بَرًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ (69)

أنت في كل الأحوال مع الله رابع:

أصحاب الأعدود وضعوا في النار فأحرقتهم النار، وكان جلّ جلاله قديراً على أن يقول لها كوني برداً وسلاماً عليهم، ليُعَلِّمَنَا المولى جلّ جلاله، أنه سواءً أذن الله تعالى لك بفرج في الدنيا أو بنجاة أو لم يَأْذَن، فأنت في الحالين مع الله رابع.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
كُلُّ نَفْسٍ دَائِقَةُ الْمَوْتِ ۖ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُونَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۚ فَمَنْ رُزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ قَارَ ۖ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعٌ
الْعُرُورُ (185)

(سورة آل عمران)

فتحن عملنا لله، سواءً أحرقت النار أو لم تُحرق، سواءً فُلق البحر كما فُلق لسيدنا موسى أو شُقَّ الأعدود كما شُقَّ لهذه الثلة المؤمنة، فالنواب ليس في الدنيا، والعقاب ليس في الدنيا، النواب والعقاب يوم القيامة، ثم يقول المولى جلّ جلاله في الصورة المقابلة:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ (11)

(سورة البروج)

مَن الذي يقول ذلك الفوز الكبير؟ الكبير، أنت إذا قال لك طفلٌ معي مبلغٌ عظيم، فيكم تُقدِّره؟ عشرين ألف ليرة بالنسبة له مبلغٌ عظيم، وإذا قال ملكٌ من الملوك: أعدنا للحرب مبلغاً عظيماً، فيكم تُقدِّره؟ بالمليارات، المولى جلّ جلاله هنا يقول عن هؤلاء الثلة المؤمنة الذين مضوا إلى ربهم، يقول: **(ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ)** الكبير جلّ جلاله يصف الفوز بأنه كبير فما عساه يكون؟

أيها الإخوة الكرام: حاسبوا أنفسكم قبل أن تُحاسبوا، وزنوا أعمالكم قبل أن تُوزن عليكم، واعلموا أنَّ مَلَكَ الموت قد تخطَّنا إلى غيرنا وسيخطئ غيرنا إلينا فليتخذ حذرنا، الكَيْس من دان نفسه وعمل لِنَا بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمتئ على الله الأمانى، واستغفروا الله.

الحمد لله ربّ العالمين وأشهد أن لا إله إلا الله وليُّ الصالحين، اللهم صلِّ على سيدنا محمد، كما صليت على سيدنا إبراهيم وعلى آل سيدنا إبراهيم، وبارك على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد، كما باركت على سيدنا إبراهيم وعلى آل سيدنا إبراهيم في العالمين إنك حميدٌ مجيد.

الدعاء:

اللهم اغفر للمسلمين والمسلمات، الأحياء منهم والأموات، إنك يا مولانا سميعٌ قريبٌ مجيبٌ للدعوات.

اللهم برحمتك عُمَّنا، واكفنا اللهم شرَّ ما أهُمنا وأَغَمَّنَا، وعلى الإيمان الكامل والكتاب والسُّنة توقُّنا، نلّقاك وأنت راضٍ عَنَّا، لا إله إلا أنت سبحانك إِنَّا كُنَّا مِنَ الظَّالِمِينَ، وأنت أرحم الراحمين.

وارزقنا اللهم حُسْنَ الخاتمة، واجعل أسعد أيامنا يوم نلّقاك وأنت راضٍ عَنَّا، أنت حسبنا عليك اتكالنا.

اللهم إِنَّا نَسْأَلُكَ الْجَنَّةَ وما قَرَّبَ إِلَيْهَا من قولٍ وعملٍ، ونعوذُ بِكَ من النار وما قَرَّبَ إِلَيْهَا من قولٍ وعملٍ.

اللهم كُنْ لَآهْلُنَا فِي عَزَّةٍ وفي فلسطين، عوناً ومُعِيناً، وناصراً وحافظاً ومؤيداً وأميناً.

اللهم أَنْزِلْ عَلَيْهِمْ من الصبر أضعاف ما نزل بهم من البلاء، اللهم أنت أعلم بحالهم، قد تَخَلَّى عنهم البعيد والقريب وأنت على كل شيء قدير، فكن لهم عوناً ومُعِيناً، وناصراً وحافظاً ومؤيداً وأميناً.

اللهم سَدِّدْ رَمِيهِمْ ورَأَيْهِمْ، اللهم عليك بالصَّهَابَةِ الْمُعْتَدِينَ فإنهم لا يُعْجِزُونَكَ، اللهم عليك بهم وبقن والاهم وبمن أَبَدَّهم وبقن وقف معهم في سَرٍّ أو علن.

اللهم مُجْري السحاب، مُنْزِلَ الكتاب، هَايِمَ الأحزاب، سَرِيعَ الحساب، اهْزِمِ الصَّهَابَةَ الْمُعْتَدِينَ وقن والاهم يا أرحم الراحمين.

اللهم كُنْ لَآهْلُنَا فِي عَزَّةٍ، أطعم جائعهم، واكسُ عريانهم، وارحم مُصابهم، وآو غريبهم، واغفر لنا تقصيرنا فإنك أعلم بحالنا، وهيئ لنا سبيلاً لنصرتهم يا أرحم الراحمين.

اجعل بلادنا آمناً سخاءً رخاءً وسائر بلاد المسلمين، ووفِّق القائمين عليها لما فيه مرضاتك، وللعامل بكتابتك وبسُنة نبيك صلى الله عليه وسلم، واصْرِفْ عَنَّا كَيْدَ الكائدين، ومكر الماكرين، وتأْمُرِ الْمُتَأْمِرِينَ، والحمد لله ربّ العالمين.